

الإيمـــان بالـــغيب
عقـيــــدة ومنهــج حيــــاة

إعـــداد

الأستاذ الدكتــــور

محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ الأديان والمذاهب ووكيل كلية الدعوة الإسلامية

للدراسات العليا والبحوث جامعة الأزهر بالقاهرة

إيميل / mohamedsoliman.٢٠١٣@azhar.edu.eg

الملخص:

إن الإيمان بالغيب من الخصائص المميزة للإنسان عن غيره من عناصر المنظومة الكونية من الكائنات والحيوانات ، ذلك أن الحيوانات تشترك مع الإنسان في إدراك المحسوس ، أما الغيب فإن الإنسان وحده هو المؤهل للإيمان به بخلاف الحيوان ، لذا كان الإيمان بالغيب ركيزة أساسية من ركائز الإيمان في عقيدتنا الإسلامية ، على حين لا تؤمن الفلسفات المادية الوضعية الإلحادية بغير الواقع والمشاهد والمحسوس، وإذا كان العقل يوقن بالجاذبية الأرضية وهو لم يرها ، ولكن بمشاهدة الآثار تعرف على ما ورائها من مؤثرات، أوليس من باب أولى أن ين يكن هذا الكون ناتج عن مؤثر ودليل على عالم الغيب ؟! ، ولكن في ظل المادية المجردة ، راجت بضاعة الإلحاد ، وأصبح للكفر نظريات ، وللمادية فلسفات ، وللإنكار محاريب وسدنة ، وللمنكرين كعبة يتعلقون بأهدابها ويحجون إليها في حلهم وترحالهم يسمونها العلم التجريبي، ولكن الغيب وما وراء الطبيعة فطرة ، من حاربها حاربته والويل كل الويل لمن حارب الفطرة ، فلا يمكن نفي ماوراء الطبيعة بما هو داخلها ، و لما كان من الضروري أن يتمخض عالم الشهادة من عالم الغيب ، و أن يكون هدا الأخير غير الأول ، فإن عالم الغيب غير ممكن أن يكون مشابها لعالم الشهادة، واتبع الباحث في منهج دراسته المنهج الوصفي التحليلي، وخلص الباحث إلى أن الغيب سر من أسرار الله لا يملك مفاتحه إلا الله ، وفيه بطلان لدعاية الدجالين والمخرفين، وأن الإيمان بالغيب هو الآلية الفاعلة المحركة لهمم المؤمن والمتحكم في إشراف أرواحهم على معالم الجنة ونعيمها المقيم، وكذلك أن الإيمان بالغيب هو سر إنسانية الإنسان ، وهو الفصل بينه وبين الكائنات والحيوانات والآلات والجمادات ، فالإيمان بالغيب يميزه عن هؤلاء جميعا ليرشح للخلافة في الأرض، ومما نتج عن البحث أن المنكرين للغيب آلاتهم معطلة وقلوبهم عاطلة ، فاستووا مع جملة الجمادات والأنعام لأنهم فقدوا الإيمان بالغيب وهو الفارق بينه وبين هؤلاء جميعا، **ويوصي الباحث ب**ضرورة بيان قيمة االإيمان بالغيب والتأكيد على الدلائل والشواهد الكونية، وأيضا بضرورة إبراز صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والتي تستلهم القلب وتدهش العقل وتخاطب الغرب على قدر فهمه من منظور عقلي حسي، كما يوصي بدعوة الملحدين للحوار حول الغيب ودلالة عالم الشهادة عليه.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، الغيب، الشهادة، عقيدة، منهج، إلحاد

Belief in the unseen is a belief and a way of life

Mohamed Abdel Dayem Ali Suleiman Mohamed El Gendy

Department of Religions and Sects, College of Islamic Da`wah, Cairo, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: mohamedsoliman.٢٠١٣@azhar.edu.eg

Abstract:

Belief in the unseen is one of the distinguishing characteristics of man from other elements of the cosmic system of beings and animals, because animals share with man in perceiving the sensible. As for the unseen, man alone is qualified to believe in it, unlike animals. Therefore, belief in the unseen was a basic pillar of faith in our faith. Islamic, while the atheistic, positive, materialist philosophies do not believe in anything other than reality, sights and the sensible, and if the mind is certain of the earth's gravity while it has not seen it, but by watching the traces it knows the influences behind it, is it not more appropriate that this universe is the result of an influence and evidence of a world Unseen?! However, under abstract materialism, the commodity of atheism has become common, and disbelief has theories, materialism has philosophies, and denial has niches and shelters, And the deniers have a Kaaba who cling to its eyelids and make a pilgrimage to it in their dissolution and travels they call it experimental science, but the unseen and what is metaphysical is instinct. The unseen, and that the latter is not the first, because the world of the unseen is not possible to be similar to the world of testimony, and the researcher followed the method of his study the descriptive analytical method, and the researcher concluded that the unseen is one of the secrets of God that only

God has the key to, and in it is invalid for the propaganda of charlatans and deceivers, And that belief in the unseen is the effective mechanism that moves them to the believer and controls the control of their souls over the landmarks of Paradise and its eternal bliss, and also that belief in the unseen is the secret of man's humanity, which is the separation between him and creatures, animals, machines and inanimate objects. About the research that the deniers of the unseen have their machines broken and their hearts idle, so they are equal with the group of inanimate objects and animals because they have lost faith in the unseen, which is the difference between it and all of them, Also, it is necessary to highlight the images of scientific miracles in the Holy Qur'an that inspire the heart and amaze the mind and address the West according to its understanding from a sensory mental perspective.

Keywords: faith, unseen, testimony, doctrine, method, atheism

المقدمة

الحمد لله الذي فتح بمفاتح الغيوب أقفال القلوب، وعجزت العقول عن إدراك كنه ذاته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد بألوهيته، الأزلي بأوليته، الأبدي بآخريته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد ،،،

عندما تدعو عقيدتنا إلى الإيمان بالغيب ، فإنها لا تدعو إلى بدعة مستحدثة ، ولا إلى ضلالة مستهجنة ، إنما تدعونا إلى لترقى بنا من مستوى الطين والمادة ، إلى مراقي النزاهة والرقي الروحي الوجداني ، والإيمان بالغيب من الخصائص المميزة للإنسان عن غيره من عناصر المنظومة الكونية من الكائنات والحيوانات ، ذلك أن الحيوانات تشترك مع الإنسان في إدراك المحسوس ، أما الغيب فإن الإنسان وحده هو المؤهل للإيمان به بخلاف الحيوان ، لذا كان الإيمان بالغيب ركيزة أساسية من ركائز الإيمان في عقيدتنا الإسلامية ، على حين لا تؤمن الفلسفات المادية الوضعية الإلحادية بغير الواقع والمشاهد والمحسوس ، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۝٨﴾ [(١)] فالآخرة غيب ومن جحد الآخرة خسر الدنيا ، ومن جحد الغيب جحد الشهادة وخسر الغيب ، و الإيمان بالغيب صفة المؤمنين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[(٢)] .

وإذا كان العقل يوقن بالجاذبية الأرضية وهو لم يرها ، ولكن بمشاهدة الآثار تعرف على ما ورائها من مؤثرات، أوليس من باب أولى أن ين يكن هذا الكون ناتج عن مؤثر ودليل على عالم الغيب ؟! ، ولكن في ظل المادية المجردة ، راجت بضاعة الإلحاد ، وأصبح للكفر نظريات ، وللمادية فلسفات ، وللإنكار محاريب وسدنة ، وللمنكرين كعبة يتعلقون بأهدابها ويحجون إليها في حلهم وترحالهم .. كعبة مهيبة يسمونها " العلم التجريبي ".

ولكن الغيب وما وراء الطبيعة فطرة ، من حاربها حاربته والويل كل الويل لمن حارب الفطرة ، فلا يمكن نفي ماوراء الطبيعة بما هو داخلها ، و لما كان من الضروري أن يتمخض عالم الشهادة

---

(١) سورة الروم : الآيات من ٦-٨.

(٢) سورة البقرة : آية ٣

من عالم الغيب ، و أن يكون هدا الأخير غير الأول ، فإن عالم الغيب غير ممكن أن يكون مشابها لعالم الشهادة .

ولو أمكن أهل المادة فهم هده المسلمة ، فلن يطلبوا إخضاع ما يقع في إطار غيبي لمناهج لا غيبية ، فإن كانت العين مثلا لا ترى الأشعة تحت البنفسجية ، فهذا لا يعني أنها لا توجد ، وكذا إذا كان الإنسان يؤمن بالعقل ، فلا يعني كونه لا يراه أنه غير موجود .

والأنبياء و الرسل جميعا كانوا أسوياء من الناحية النفسية و العقلية ، فقط مدعوا النبوة ومؤسسوا العقائد الوضعية من انتهوا إلى الجنون أو صدروا عن اضطرابات عقلية ، وأما الملاحدة فباتباعهم دين هواهم و نزوعهم الاستكباري ، تظهر لديهم في الغالب اضطرابات من النوع الهستيري ، برهانها ميلهم اللاعقلاني إلى الاستعراض لجدب أنظار الآخرين ، و جعل ذواتهم الضعيفة محط اهتمام الآخرين بمعاداة الأديان و معاندة الله الذي لو شاء اتلف نفوسهم ، ولوث عقولهم ، و قبض أرواحهم وأنهى مشكلة الكون والإنسانية ولكن أبقاهم بحكمه ولحكمته سبحانه وتعالى .

وعندما يكتشف أرباب المادية نظرية تجريبية معملية تندهش عقولهم للوصول إلى غيب ظهر في شهادة ، فكيف إذا رأوا كونا يحيط بهم ، شديد الضخامة ، منظم وبديع كالكواكب والنجوم والمجرات، أو غاية فى الصغر والدقة والتقدير كالذرات والموجات والجزيئات ، تحكمه قوانين غاية فى العلم والحكمة والدقة ، حتما سيوقن العقل أن فوق كل ذلك خالق له صفات الكمال، قيوم لا يغفل ولا تأخذه سنة ولا نوم ، فالعلم فى الخلق يدل على أن الغيب موجود والخالق موجود عليم ، والحكمة في تغييب الغيب تدل على أن الخالق حكيم ، واستمرار الخلق فى نظام مضبوط يربط بين الغيب والشهادة بلا خلل ، يدل على أن الخالق قيوم سبحانه وتعالى .

وعليه فالإيمان بالغيب إيمان بالله ، وكلما كان الإيمان بالله أقوى ، كلما بنيت الشخصية في رسوخ وثبات ، لأن أساسها هو العقيدة بوجود خالق وراء هذا الكون ، ووجود شيء لا ندركه .

وعندما يشاهد العقل آيات الحكمة وميزان العدل والتوازن فى صنعة الله ، يوقن بأن هذا الكون لم يخلق عبثا بل خلق لهدف غايته الكمال ، وتلك قيمة الإيمان بالغيب .

فقد جاءت الشرائع بكثير من الأمور الغيبية التي لا سبيل للإنسان إلى العلم بها إلا بطريق الوحي الثابت في الكتاب والسنة ، كالحديث عن الله تعالى وصفاته وأفعاله ، وعن السماوات السبع وما فيهن ، وعن الملائكة والنبيين والجنة والنار والشياطين والجن ، وغير ذلك من الحقائق الإيمانية الغيبية التي لا سبيل لإدراكها والعلم بها إلا بالخبر الصادق عن الله ورسوله .

وإن المبادئ الإلحادية التي تنكر الخالق والغيب وتنكر يوم الحساب ، تحول العالم إلى غابة من الوحوش الظالمة المجرمة ، وتنشر الفوضى والقتل والفواحش ، وتغرق العالم بطوفان المادية الحالكة ، وتسمم البيئة بالرذائل التي تقود إلى الانتحار ، مما يهدد البشرية كلها بالفوضى بل بالهلاك ، ولا نجاة للبشرية إلا في الإسلام دين كمال البشرية العالمي الخالد الرحمة المهداة الذي يقود العقل لليقين بالغيب وبالوحي الهادي وبيوم الحساب ، فتستقيم به النفس وتطمئن وتوقن بأن فوقها قوة لا يعجزها شيء تلجأ إليها في الشدائد ورقيب قيوم لا يغيب عنه شيء ، وأن الغيب موجود لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى ، وأن الدنيا المشاهدة تزول بالآخرة الغيب فتكون بعد حين مشاهدة ، وأن من ورائها يوم للحساب بفوز فيه الصالحين ويعذب المارقين الفجار المتكبرين في الأرض ، ونفس بهذا اليقين لا تكتئب أبدا ولا تظلم ولا تنشر الشر والفساد ، بل نفس مطمئنة تعيش للحب والعدل والحرية .

وفي هذا البحث يحاول الباحث بجهد مقل أعياه ما غاب عنه من مصير مجهول ، أن يسطر صحافا تدور حول مسألة الغيب ، فتلك مسألة فيها إجابات على تساؤلات كثيرة ، وفيها إفصاح عن قدر الإنسان في الكون ، وقيمة الإنسان بين أقرانه من أنساق الحزمة الكونية المتناغمة وقد صدرت بحثي بعنوان (الإيمان بالغيب عقيدة ومنهج حياة) .

منهج البحث : اتبع الباحث في منهج دراسته المنهج الوصفي التحليلي .

أهمية الموضوع :

تتلخص أهمية الموضوع فيما يلي :

١ . بيان قيمة الوحي ، فهو المصدر الذي يمدُّ الإنسان بحاجاته المعرفية الغيبية، لذلك فإن التربية الإسلامية تعتمد الوحي مصدرًا وطريقة وحيدة للبحث في الغيب.

٢ . بيان دور الغيب في تكوين إنسان يحمل مفهوم الإنسانية ، وأن عدم اليقين في الغيب يصنع حيوانا في صورة إنسان ، أو آلة في هيئة إنسان .

٣ . ضرورة الإيمان بالغيب في تحديد هدف الإنسان في وجوده ، وخصوصا في زمن الطغيان المادي الذي غطى ساحة الدنيا بأمواجه المتلاطمة .

٤ . توجيه الإنسان في دنياه وفق منهج غيبي إلهي لا يضل ولا يحيد عن مصلحة الإنسانية وتحقيق أمنها وسعادتها ، وبيان موقع العقل من الوحي ، وفشل استقلاله عن هديه في طريق الحياة .

خطة البحث : لقد قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد ومبحثان وخاتمة :

المقدمة وفيها : منهج البحث وأهمية الموضوع وخطة البحث .

التمهيد وفيه : تحديد المفاهيم .

المبحث الأول : دلائل الغيب بين توجيه القرآن وموقف الإنسان .

المبحث الثاني : قيمة الإيمان الغيب بين تكوين إنسان وحياة حيوان .

المبحث الثالث : أيها المنكرون للغيب .. ما لكم لا ترجون لله وقارا .

الخاتمة : وفيا نتائج الدراسة وأهم التوصيات .

ولا يزعم الباحث أن هذا البحث حوى بين دفتيه كل عناصر القضية ، ولكنه جهد المقل ، وعلى الله القبول

والله ولي التوفيق والسداد .



التمهيد

تحديد المفاهيم

معنى الإيمان :

الإيمان لغة: التصديق كقوله تعالى لما قال إخوة يوسف لأبيهم قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [١] [٢]، وقيل: (الإيمان في اللغة التصديق بالقلب وفي الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان)[٣]

واصطلاحا: قيل هو (اليقين فى الاعتقاد بالله ورسله واليوم الآخر بلا قيد فى ذلك إلا احترام ما جاء به على ألسنة الرسل)[٤] .

مفهوم الغيب:

الغيب في اللغة: يدور حول فلك المعاني التالية: جاء في لسان العرب والنهاية في غريب الحديث: (الغَيْبُ : الشَّكُّ ، وجمعه غِيابٌ وغُيُوبٌ ، والغَيْبُ : كلُّ ما غاب عنك ، قال تعالى قَالَ تَعَالَى:﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [٥] أي : يؤمنون بما غابَ عنهم مما أَخبرهم به النبيُّ صلى الله عليه وسلم من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار ، وكلُّ ما غابَ عنهم مما أَنبأَهم به فهو غَيْبٌ ، وقال ابن الأَعرابي [٦] يؤمنون بالله قال والغَيْبُ

---

(١) سورة يوسف: آية ١٧

(٢) محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر (الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥) ج ١ ص ٢٠ .، وحافظ بن أحمد حكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر (الناشر : دار ابن القيم – الدمام .الطبعة الأولى ، ١٤١٠ – ١٩٩٠) ج ٢، ص٥٩٧ .

(٣) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥) ج ١ ص ٦٠ .

(٤) محمد عبده، رسالة التوحيد (مطابع دار الكتاب العربي ١٩٦٦)، ج١ ص ١٠٥

(٥) سورة البقرة٣

(٦) هو محمد بن زياد أبو عبد الله مولى بني هاشم يعرف بابن الأعرابي ، صاحب اللغةكان أحد العالمين بها والمشار إليهم في معرفتها ،كثير الحفظ لها ، ويقال : لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا وحدث عن أبي معاوية الضرير روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي وأبو العباس ثعلب وأبو عكرمة الضبي وأبو شعيب الحراني ، وكان ثقة ،كانت طرائقه طرائق الفقهاء والعلماء ومذاهب جلة شيوخ المحدثين وأحفظ الناس ، وفي الكشاف أنه توفي سنة ٢٧٤ هـ ، راجع تاريخ بغداد لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (لناشر : دار الكتب العلمية – بيروت) ج ٥ ، ص ٢٨٢، وانظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، لحمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي تحقيق : محمد عوامة (ط.دار القبلة للثقافة الإسلامية , مؤسسة علو – جدة.الطبعة الأولى ، ١٤١٣ – ١٩٩٢) ج ١ ، ص ٣٧٤ .

أَيضاً ما غابَ عن العُيونِ وإِن كان مُحَصَّلاً في القلوب)[١].

وفي المصباح المنير : (الغَيْبِ : الظن من غير دليل ولا برهان[٢]، وكل ما غاب عنك ، و جمعه :

(غُيُوبٌ) ، وفي التنزيل (عَلَّامُ الغُيُوبِ) و (أَغَابَتِ) المرأة بالألف (غَابَ) زوجها فهو (مُغِيبٌ) ، و (مُغِيبَةٌ) و (غَيَابَةُ) الجبّ بالفتح قعره و الجمع غَيَابَاتٌ)[٣]

واصطلاحا : الغيب في الاصطلاح خلاف الشهادة، كما قال أهل العلم: الغيب ما غاب عن العيون وإن كان محصَّلاً في القلوب [٤]، فميدان الشهادة يُعْقَل بالتعاون مع الحواس ، فيكون الكون ميدانًا لعالم الشهادة في كل ما كان محسوسًا مع كون النظر إلى هذا الميدان مبنيٌّ على التكامل والتوازن؛ ذاك لأن الخلافة قائمة على مواجهة عالم الشهادة والتعامل معه بحسبانه ميدانًا للإنجازات العظيمة عن طريق تسخير القوانين المودعة فيه من خلال عقلانية حاسمة قائمة على أساس السببية والتوافقية، والتعامل المباشر مع أجزائه) [٥] .

وفي التوقيف : الغيب هو السر الذاتي وكنهه الذي لا يعرفه إلا هو ولهذا كان مصونا عن الأغيار مكنونا عن العقول والأبصار [٦] .

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، (دار صادر – بيروت. الطبعة الأولى. د.ت). جـ١ صـ ٦٥٤ ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر للعلامة أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (الناشر : المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)جـ٣ صـ ٧٥١ ، وانظر : كتاب العين. لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي (الناشر : دار ومكتبة الهلال ، د.ت) جـ٨ صـ٤٥٥ .

(٢) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، (ط المكتبة العلمية _ بيروت . د.ت) جـ١ ص ٢٢١ .

(٣)

(٤) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق : سليمان سليم البواب، (ط.دار الحكمة، بيروت، ثالثة ، ١٤٠٩هـ)، صـ٥٦٣، ٥٦٤.

(٥) عبدالحميد محسن ، تجديد الفكر في الإسلام ، (ط.دار الصحوة، القاهرة، دت) صـ١١٨.

(٦) محمد عبد الرؤوف المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية (الناشر : دار الفكر المعاصر , دار الفكر – بيروت , دمشق. الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ) جـ١ صـ٥٤٤ .

وفي التعريفات : الغيب هو نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن وهو مبادي عين اليقين وتحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب باليقين , واليقين نقيض الشك وهو : ارتفاع الريب في مشهد الغيب)[1] .

والعقيدة هي : (من مادة عقد وهي في اللغة مدارها اللزوم والتأكيد، تقول العرب: اعتقد الشيء: صلب واشتد) [2] .

وفي الاصطلاح : الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل، وقولهم: المطابق للواقع قيد يخرج العقائد الفاسدة كاعتقادات النصارى في التثليث واعتقاد اليهود أن عزيزا ابن الله، وغير ذلك من العقائد الفاسدة [3] .

والعقيدة في الشرع: هي ما يجب شرعاً اعتقاده والتصديق به تصديقاً جازماً لا شك فيه ولا ريب[4].

والمنهج : هو الطريق ، يقال : (" المَنْهَجُ " و " المِنْهَاجُ " مثله و " نَهَجَ " الطريق " يَنْهَجُ " بفتحتين (نُهُوجًا) وضح و استبان و " أَنْهَجَ " بالألف مثله و " نَهَجْتُهُ " و " أَنْهَجْتُهُ " أوضحته يستعملان لازمين و متعديين)[5].



---

(١) علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ) ، جـ ١ ص١٥٩ ، ٣٣٢ بتصرف

(٢) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ص ٣٨٧ ج ٤ ، طبعة دار صادر، بيروت، طبعة أولى، بدون تاريخ.

(٣) انظر: د/ حمدي عبد العال، منهج السلف في العقيدة، ص ٣١، دار القلم، الكويت، طبعة أولى، سنة ١٩٨٤م .

(٤) راجع: شرح العلامة المحقق: سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية، للإمام نجم الدين عمر النسفي، ص ١١، دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي .

(٥) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، (طبعة المكتبة العلمية – بيروت .د.ت) جـ٢ صـ٦٢٧

المبحث الأول

دلائل الغيب

بين توجيه القرآن وموقف الإنسان

وفيه :

أولا : خصوصية علم الغيب بالله تعالى .

ثانيا : الاطلاع على الغيب محكوم بالمشيئة والإرادة .

ثالثا : استغراق علم الله تعالى للجزئيَّات والكليات على حد سوى .

رابعا : من خصائص الغيب إمكان تصنيفه على محورين .

المبحث الأول

دلائل الغيب بين توجيه القرآن وموقف الإنسان

يعجز الإنسان أن يفسر ما في ضمير الغيب والوجود ، فيسلم المؤمن وينكر الجاحد ، فالجاحد يتيه ويتخبط ، والمؤمن يتفكر ويتيقن ، ويجد المؤمن وحيا يسوق تفكيره إلى تفسير للغيب يقرب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى والدقائق الصغرى ، فتتناغم طبيعته مع أنساق الكون في الغيب والشهادة ، وتحدث عنده صلة بين الدنيا والآخرة ، وتخضع في المؤمن حقيقة العبودية لحقيقة الألوهية ، وترتبط في الإنسان حقائق تفسر له حقيقة الوجود ، كحقبقة الحياة وحقيقة الموت ، وحقيقة الإنسان وحقيقة الكون ، وقد شخص الوحي حقيقة الغيب القابعة في ضمائر هذه الحقائق ، بها أدرك الإنسان سر وجوده وغاية خلقه ، وأدرك مصيره ومنتهاه ، فحدد من خلال ذلك منهج حياته .

وقد تناغم التشخيص الإلهي لمسألة الغيب مع طبيعة الإنسان ، فأصبح الإنسان يشعر عند تذاكر الكشف الإلهي عن الغيب بأن هذه المسائل تنبثق من ذاتيته فأسلم المؤمن وجهه لله ، وجحد الكافر واعترض على الله ، فعاش صداما مريرا بين فطرته وبين الكون ، وأما إدراك المؤمن للحقائق الغيبية فقد جعله يتفرد عن العناصر الإلحادية ويتسود المنظومة الكونية بكل أنساقها ، لأنه ملك هداية الوحي فلم تستعبده الأهواء ، قال تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)[١].

فكان الوحي هداية للمتقين الذين آمنوا (بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ،وآمنوا بالبعث بعد الموت والحساب والجنة والنار وصدقوا بموعود الله الذي وعد في هذا القرآن)[٢].

وفي السطور التالية نورد بعضا من التشخيصات القرآنية لحقيقة الغيب وحال المؤمنين معها :

أولا : **خصوصية علم الغيب بالله تعالى**:

تفرد الله تعالى بعلم الغيب عن الكينونة البشرية ، فالتصور الاعتقادي للمسائل الغيبية يديره الوحي الإلهي فهو أداة الإخبار الكبرى للماضي والحاضر والمستقبل على حد سوى ، قال تعالى :(عَالِمُ

---

(١) سورة البقرة : الآيتان : ٢-٣.

(٢) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور ، (ط.دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م) جـ ١ ، صـ ٦٤

الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا)[٣] ، وقال : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) [٤] ، ومفاتح الغيب هي الأمور المغيبة المتعلقة بأحوال الناس في هذا العالم ، وعبر عنها بالمفاتح لأنها مجهولة للناس ، فإذا وقعت فكأن وقوعها فتح لما كان مغلقا ، والمغيبات عن علم الناس كثيرة وليست لها مفاتح علم في هذا العالم ، (قال ابن عباس وغيره الإشارة بمفاتح الغيب هي إلى الخمسة في آخر لقمان) [١] وهي قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٢] .

بهذه التوعية الإلهية أقام المؤمن تصوره فتناسق الوحي مع فطرته ، وأدرك عجزه عن إدراك هذه المسائل التي لم يعط منها إلا وميضا من نور يؤكد له وجودها مع إثبات عجزه عن علمها .

فالله تعالى يعلم قيام الساعة ، ووقت نزول المطر ومكانه ويعلم الأجنة في بطون الأمهات وأنواعها وسعادتها وشقاوتها ، فقضية الغيب والشهادة هي مسألة (بروز للمخلوقات من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ثم تنتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بانتظام واطِّراد، ومن الأمثلة على ذلك ظواهر الولادة والموت في عالم الإنسان) [٣] ، وانقضاء الآجال وكل أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم ، وما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون وما يكون كيف يكون ومالا يكون أن لو كان كيف يكون .

ومفاتح الغيب مجهولة للإنسان لا يعلمها إلا الله ، ولكم يتشوف الإنسان لمعرفتها فلا يستطيع مهما حاول، ويريد أن يعرف كيف ستكون حياته في المستقبل ، بل يريد أن يعرف ماذا يكون نصيبه في العام المقبل ، بل يريد أن يعرف ما يحدث بعد شهر أو أسبوع أو يوم ، بل يريد أن يعرف ماذا يحدث بعد ساعة من الزمان ، بل بعد لحظة واحدة من الزمن المقبل، فلا يستطيع أن يعرف ما وراءها، وما تجلبه إليه من خير أو شر ، فلا أحد يعلم ذلك الغيب المجهول كله علم شمول وإحاطة واطلاع إلا الله وحده الذي يخلق كل شيء ويعلمه، ولا يغب عن علمه شيء في السماوات ولا في الأرض .

---

[٣] سورة الجن : آية ٢٦ .

[٤] سورة : الأنعام : آية ٥٩ .

[١] عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (لناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت) جـ١ ، صـ٥٢٦ .

[٢] سورة لقمان : آية ٣٤ .

[٣] ماجد الكيلاني عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية ،(مكتبة هادي، مكة المكرمة. ط .ثانية، ١٤٠٩هـ) ، صـ ٢٣٠.

ثانيا : الاطلاع على الغيب محكوم بالمشيئة والإرادة :

قال تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) [٣] .

ذلكم حكم الله ، فهو يصطفي لمطالعة وميض من الغيب من يشاء ، فمهما استعمل الإنسان من مقومات الكينونة الإنسانية ومن عناصر الإدراك وغيرها من جملة الحس والبديهة والبصيرة والفكر ، مهما حاول ليقحم جدار الغيب فلن يعود إلا خاسئا وهو حسير وإن زعم من علم الغيب وزعم من زعم ، ومن يتفضل الله عليه بأن يظهره على الغيب فذلك داخل في علم الله فحقا (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) [١] ، فأضاف (غيب) إلى ضمير الجلالة ، وأردف هذا الخبر بإدماج انتفاء علم هؤلاء الزاعمين علم الغيب أنهم لا يشعرون بوقت بعثهم ، بل جحدوا وقوعه إثارة للتذكير بالبعث لشدة عناية القرآن بإثباته وتسفيه من أنكره ، فذلك موقع قوله (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [٢] أي أن الذين يزعمون علم الغيب ما يشعرون بوقت بعثهم ، وذلك (يدل على أن علم ما يكون لا يدركه إلا علام الغيوب أو من أطلعه على ذلك ، فكيف يدرك ذلك بقطع الأفلاك وسير النجوم ؟! وكيف يجتمع في قلب مؤمن تصديق الرسل وتصحيح الآيات مع اعتقاد تصحيح أحكام المنجمين واعتقاد كون سير الأفلاك أدلة على علم ما كان ويكون ؟!) [٣].

ثالثا : استغراق علم الله تعالى للجزئيَّات والكليات على حد سوى :

إن الشعور بالعجز عن مطالعة الغيب ومعاينة ما وراء الطبيعة ، شعور ملازم للإنسان منذ القدم في كل أحواله وفى جميع أوضاعه ، وليس إنسان العصر الحديث ناجيا من تلك الحقيقة ، إذ يرى الإنسان صورا للأشياء ، أما الكوامن فهو عاجز عن كنهها ، وفي ذلك يقول الله تعالى :
(يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[٤] ، الشمس تطلع ، والشمس تغرب، والأرض من حولها تدور، والحياة تنبثق من هنا و من هناك.. كل شيء إلى نماء.. نماء في العدد و النوع، نماء في الكم والكيف.. لو كان الموت يصنع شيئا لوقف مد الحياة!.. ولكنه قوة ضئيلة حسيرة ، بجانب قوى الحياة الزاخرة الطافرة الغامرة ، من قوة الله الحي... تنبثق الحياة وتتداح ، فهل

---

(٣) سورة الجن : الآيتان : ٢٦– ٢٧ .
(١) سورة الجن : الآيتان : ٢٦– ٢٧ .
(٢) سورة النحل : آية ٢١ .
(٣) أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني ،كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م) جـ١ ، صـ٧٧ .
(٤) سورة الروم : آية ٧ .

يستطيع الإنسان أن يعتمد على عقله في فهم هذه الدقائق ؟!! بالطبع لا إنما هي تدفقات السماء التي أحيت الأرض الميتة

ونحب أن نضيف إلى ذلك أن الإنسان السوي يعلم أن ما يحققه من تسخير طاقات السماوات والأرض ليس " اغتصابا " من الإله كما تصور ذلك الأساطير الإغريقية الغابرة ، لتتخذ العقول المنحرفة مبررا يرخص لها إنكار الغيب وإنكار وجود الله كما تفعل الظلمات الإلحادية الجاهلية المعاصرة ، فالحقيقة الإيمانية تهدي عقول المهتدين إلى الاستسلام لها وعدم المكابرة أمامها ، فالله هو الذي سخر الكون ابتداءا للإنسان ليعينه على الإيمان بالغيب ، قال تعالى :

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) [1] ، وكأن الله يبرهن للإنسان على عالم الغيب بعالم الشهادة ، وذلك جلي في قوله " جميعا منه " ، وهذا الانفتاح التسخيري من عالم الملكوت طارئ على الإنسان الذي ولد جاهلا لا يعلم شيئا ، قال تعالى :

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [2].

ثم أدرك الإنسان بعد هذا الانفتاح المذهل الذي وصل إليه من لا شيء أنه بالنسبة للغيب أشبه بجرم فلكي لا يتجاوز مداراته ، وإذا انحرف عن محوره المحدود يصطدم فيصيب نفسه بالدمار ، وهنا يسلم لقاعدة الخصوصية الغيبية لله تعالى في علم الدقائق والذرات والمجرات والجزئيات والكليات ، فيقف منصتا واليقين يملأ قلبه ومواجده ليردد قوله تعالى : (عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [3] ويؤمن بأن شمول علم الله للغيب كله صفةٌ خاصَّةٌ به – جل جلاله .

(والإنسان إنما يعلم الكليات بمشاهدة الجزئيات الواقعة تحت الزمان ، ويستدل عليها بالمقدمات الغريزيات ، والله تعالى لا يدرك الكليات بهذا السبيل ،وإلا فإنه تشبيه بالبشر ، و الله تعالى في صفاته لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ، وقد أثبتت شريعتنا الحنيفية التي شرفنا الله تعالى بها أن الله عالم بكبير الأشياء وصغيرها لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم خائنة

---

[1] سورة الجاثية : آية ١٣ .
[2] سورة النحل : آية ٧٨ .
[3] سورة سبأ : آية ٣ .

الأعين وما تخفي الصدور و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وهذه صفات الكمال التي تليق بالله تعالى)[1].

ثم يصل المؤمن إلى أن المضمون الدلالي لميدان الشهادة من هذه الزاوية متوجِّه نحو جعل الفعل المعرفي والتأملي والتجريبي لا يخرج عن إطار الكون المحسوس ، بحيث يتمكن الإنسان من التعامل معه بأدوات حسية بالدرجة الأساس كأدلة إشارية للوصول إلى الحقائق الغيبية التي أحاط الله تعالى وحده بها علما ، ثم يدرك أن إعمال قوى العقل فيه لا يتجاوز طريقا لتحقيق هدف الإيمان بالوجود الغيبي المكنون ، وكل ذلك لا يتحقق إلا تحت إشراف وتوجيهات الوحي، فهو المسند للحس والعقل.

ولم لا وهو القائل عن نفسه (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ)[2] ؟ ! ، ولم لا يعلم الدقائق الغيبية ، وهو القائل عن نفسه (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [3] وقا ل : عَلَّامُ الْغُيُوبِ [4] وقال : (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[5] وقال : إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ [6]؟! والحكيم من وقع أفعاله على موافقة إرادته ، وبذلك يحيط الله تعالى بكل شيء علما.

رابعا : **إمكان تصنيف الغيب على محورين** :

الأول : غيب قابل لأن يكون من عالم الشهادة إذا تهيأ للمخلوقات شروط مشاهدته ، ومنها ما يخضع لضرب الكشف العلمي كالنتائج المحصلة من التجارب المعملية والنظريات العلمية ، والكشف الفضائي والعلمي والجيولوجي والكيميائي وغيره ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر ، فهذه النظريات كانت مجهولة غيبية ، وبعد البحث والاستقصاء خضعت للمشاهدة الحسية الملموسة أو المحسوسة ، إذن حجم العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة يشير إلى إمكان أن نستخدم كلاًّ من أداتي الحس والعقل فيهما معًا ، فمنهج المعرفة في عالم الغيب ينطلق من مدركات حسية متجاوزًا الإطار المادي المحدود ليتفاعل مع المبادئ الأولية للعقل، فيتمكَّن كذلك من إدراك قضايا الغيب الكبرى من ألوهية

---

(1) أبو محمد عبدالله بن محمد السيد البطليوسي الأندلسي ، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة (الناشر : دار الفكر – دمشق. الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م) .ج١ ، صـ ١٢١ بتصرف .

(2) سورة سبأ: آية ٢ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٩ .

(٤) سورة سبأ: آية ٣٤.

(٥) سبأ: آية ٣٠ .

(٦) سورة الذاريات: آية ٣٠ .

وربوبية وأسماء وصفات ونبوة، على نحو من المعرفة العلمية ، فميدان الغيب يمثل مصدرًا لمعرفة يتلقَّاها الإنسان، بكونه مستقبلاً للمعرفة من هذا المعين الذي لا يجف .

الثاني : غيب غير قابل لأن يكون من عالم الشهادة؛ لأنه مما استأثر الله – تعالى – بعلمه لنفسه ، ومنها على سبيل المثال ما جاء في القرآن الكريم من بيان أن الله عنده وحده علم الساعة، فلم يُطْلِع عليه أحدًا، وما أثبته – سبحانه – لنفسه أنه يعلم كلَّ ما في الأرحام دون أن يَرِدِ في النص القرآني قصر علم ما في الأرحام عليه جل جلاله ، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[١]

---

[١] سورة لقمان : آية ٣٤ .

المبحث الثاني

قيمة الإيمان بالغيب بين تكوين إنسان وحياة حيوان

وفيه :

١ . اليقين بوجود الله تعالى .

٢ . تكوين الإطار الإسلامي الأشمل في الكينونة الإنسانية المتطابقة مع نسيج الفطرة .

٣ . يسوق الإيمان بالغيب إلى اليقين بالدار الآخرة .

٥ . في الإيمان بالغيب بيان لقيمة عالم المشاهدة

٦ . هناك تلازم بين الإيمان بالغيب وبين تحقيق الخلافة في الأرض .

٧ . الإيمان بالغيب تمييز بين إنسان مؤمن وحيوان ناطق .

المبحث الثاني

قيمة الإيمان الغيب بين تكوين إنسان وحياة حيوان

إن العقل في سيره في رحلة وجوده ليس حر التصرف ، بل هو محكوم بنظم وضوابط إذا فارقها فارقته ، وإذا فارقته تحول إلى آلة من ناحية، وإلى حيوان من ناحية أخرى، والنفس البشرية لا تستعصي على الارتفاع حين تجد الترغيب والتوجيه ، ولكنها حين تترك وشأنها ، أو حين تجد المغريات الدائمة للهبوط ، فلا شك أنها تهبط حتى تصل إلى مستوى الحيوان، وهناك أمم وصلت إلى قمة الحضارة المادية، لكنها تعاني من تناقص الخصائص الإنسانية وضمورها وتراجعها، فقد أدى لديها نمو الخصائص الآلية والحيوانية إلى تضخمها وبروزها، فطفت فوق سطح العقل وغرق فيها معنى حقيقة الوجود وسر الخلق ، وعطلت بأثقال المادة وعالم الحس ثمار الإطلالة على ما وراءه من وميض الغيب

وتمثل مسألة الإيمان بالغيب معينا يرتشف منه المؤمن أسرار وجوده ، ويعرفه حقيقة مركزه في الوجود الكوني وغاية وجوده الإنساني وأن المرجع إليه وهناك مثول بين يديه ، قال – تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ) [(١)]، فالخلق من ورائه هدف لا بد من تحقيقه ؛ لأن الخالق لا يعبث ، بل يقدر لحكمة يريدها هو ، فيكون منه توجيه الإنسان لمعرفة الغاية والوسيلة والطريق الموصل للحكمة ، فيستطيع الإنسان من خلال ذلك أن يحدد منهج حياته ، والنظام الذي يصل من خلاله إلى هذا المنهج دون تخبط وارتكاس ، فبالإيمان بالغيب يتحقق ما يلي :

١ . اليقين بوجود الله تعالى : فوجود الله – تعالى – يمثِّل أهم معطًى في عالم الغيب بالنسبة إلى الإنسان، ومقصد اليقين عند المؤمن موجه إلى قوله تعالى (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[(٢)].

وعلى هذا الأساس فإن التربية الإسلامية لمعاني الغيب تهدف إلى إخراج إنسان موحِّد، فالله تعالى له البقاء (وخلق الخلق للفنا فلا يستطيعون أن ينظروا بأبصار الفناء ، فإذا جدد لهم خلق البقاء فينظروا بأبصار البقاء يوم اللقاء)[(٣)]، ومعلوم أن الجزاء من جنس العمل ، فالله تعالى يخلف المؤمن

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١١٥

(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٣.

(٣) هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان (الناشر : دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٢ هـ) جـ٣ ،صـ٥٠٨ .

بوجوده وهو أعلى درجات الغيب عن رؤيته ومشاهدته في الدنيا، رؤية يوم القيامة ، فيتحول ما كان غيبا في الدنيا ، إلى شهادة يوم القيامة ، وهو معنى قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[(١)]، وناضرة يعنى : الحسن والبياض إلى ربها ناظرة يعني : تعاين ربها في الجنة ، وأما قوله : " لا تدركه الأبصار " يعني الدنيا دون الآخرة)[(٢)] ويصل الإنسان بهذه الحقيقة إلى أعلى درجات العبودية ، وتنفتح مداركه على كون مفطور على عبادة الله، بسماواته وأرضه، وشمسه وقمره، ونجومه وجباله، ودوابه وشجره ، فيسمع ترانيمه في الأرجاء تصدح تسبيحا ، وتنحني سجودا لهذا الإله الموجود الذي لا يغيب: قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)[(٣)]، وقال : (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) .[(٤)]

فالتوجه لله بالعبادة الذي تشير إليه الآيات بالسجود ، هو في فطرة الكون كله، الذي فطره الله على عبادته وطاعته ، والإنسان خلق من خلق الله، مفطور مثل بقية الكون على التوجه لله بالعبادة. ولكن الله كرمه وفضله على كثير ممن خلق، ومنحه الوعي والإدراك وحرية الاختيار.

٢ . تكوين الإطار الإسلامي الأشمل في الكينونة الإنسانية المتطابقة مع نسيج الفطرة المتناغم مع الصورة المتوافقة مع الوحي المبني على حقيقة التوحيد والوحدانية المتكامل بفقه عالم الغيب وعالم الشهادة، والوحي والعقل والكون، والإيمان والعمل، والتوكُّل والسعي، وتتكامل عقيدة القضاء القدر، والثقة بالكليات الربانية، والأوامر الإلهية، مع جدية السعي لفهم السنن، والعلم بالفطرة والأسباب، وطلبها والحرص عليها ، وتدارك معاني العبودية والتبعية المطلقة لله تعالى والابتهال إليه ، (وكمال حال الإنسان أن تستكمل النفس قوى العلم الحق والعمل الخير ، والشرائع إنما ترد بتمهيد ما تقرر في العقل لا بتغييره ، لكن العقول لما كانت قاصرة عن اكتساب المعقولات بأسرها ، عاجزة عن الاهتداء إلى المصلحة الكلية الشاملة لنوع الإنسان ، وجب من حيث الحكمة أن يكون بين الناس شرع يفرضه شارع يحملهم على الإيمان بالغيب جملة ، ويهديهم إلى مصالح معاشهم ومعادهم تفصيلا

---

(١) سورة القيامة : الآيتان : ٢٢-٢٣ .

(٢) أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله ، الرد على الزنادقة والجهمية ، تحقيق : محمد حسن راشد (الناشر : المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٩٣ هـ) ج ١ ، ص١٣

(٣) (الحج : ١٨) .

(٤) (النحل:٤٩).

، فيكون قد جمع لهم بين حظي العلم والعدل على مقتضى العقل ، وحملهم على التوجه إلى الخير المحض والإعراض عن الشر المحض استبقاءا لنوعهم واستدامة لنظام العالم)[١].

وهذه الأسس هي التي تجسد نمطَ العلاقة بين الإنسان – وهو من عالم الشهادة – والغيب، ومعطياته الإنسانية، على نحوٍ يجعل من هدف هذه العلاقة تحقيق معاني التسخير والاستخلاف، فذلك يرجع إلى أصل الإنسان الذي ينتمي بجسده إلى عالم الشهادة ، غير أنه ينتمي بروحه ونفسه إلى عالم الغيب؛ فيستشعر القوة الإلهية تهيمن عليه في حركاته، ويأوي بيقين إلى ركن شديد لا يخيب من ركن إليه، ويصل إليه معنى الهدف والغاية من وجوده والمصير الذي ينتظره، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[٢]

٣ . يسوق الإيمان بالغيب إلى اليقين بالدار الآخرة وما فيه من محصّلة حسابية وجزائية نهائية لما قدمه الإنسان في الدنيا، وفي هذا دربة على الرقابة الذاتية للفرد ، ولما كان لقيمة الآخرة في الغيب ميدان قرن الإيمان بالغيب باليوم الآخر فقال﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٣] فاليوم الآخر من أمور الغيب؛ لذا عرَّفنا باليوم الآخر وبأحواله.

وأول علامة للمؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب، وهذه أول ميزة وعلامة, ثم تتفرع عنها بعد ذلك كل أمور وشعب الإيمان؛ والذي لا يؤمن بالآخرة لا يمكن أن يعيش الحياة الإيمانية، وإن قال: أنا أومن بالله؛ فإن ذلك لن يكون إلا فكرة في عقله أو خاطرة في فؤاده، ولا يكون حقيقة واقعة في حياته.

٤ . في الإيمان بالغيب بيان لقيمة عالم المشاهدة، وإثبات أن عالم الشهادة ليس هو الغاية، ولكنه وسيلة لغاية أسمى في ضمير الغيب حيث النعيم والجنة ، وتنبيه الإنسان إلى عدم الركون لعالم المشاهدة كمنتهى لأمد مطامحه ،كي لا يلقى عذابا ينتظر العصاة مكنون في ضمير الغيب ، فبالاتصال بين عالم العقل وتوجيه الوحي يحدث تكاملا يحدد موقع الإنسان في عالمي الشهادة

---

(١) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، (الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، د. ت) جـ٢ صـ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام : الآيات ٦٠ـ٦٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ٣ .

والغيب ، وعلى هذا الأساس يتمُّ تصميم المنهج بعيدًا عن الثنائيات العقيمة للدين والدولة، والعقل والنقل، والأصالة والمعاصرة ، والمحسوس وغير المحسوس .

وهناك ميدانان في مجال الإدراك والمشاهدة لإثبات الغيب ، وهما: ميدان الآفاق، وميدان الأنفس؛ إذ هما مشاهدان ومحسوسان ، وقد ورد ذكرهما في قوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[(١)]، ومعنى في قوله تعالى" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم " (وقائع الله في الأمم الخالية ، وقيل : إمساك القطر عن الأرض كلها ، وآيات السماء كالشمس والقمر)[(٢)] فكل الآيات الفلكية الكوكبية، وآيات الليل والنهار، وآيات الأضواء والإظلال والظلمات.

والآيات التي جاءت في القرآن الكريم تدعو الإنسان لأن يُعْمِل عقله في آيات الآفاق من المشاهدات كثيرة جدًّا، منها قوله تعالى : (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[(٣)]، وقوله:(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)[(٤)] ، والمتأمِّل يرى أن هذه الآيات التي يؤمر فيها الإنسان بأن يتأمَّل آيات الله في الآفاق تختم ببيان الحكمة من ذلك كما في الآية السابقة، فقد بيَّن الله – سبحانه – الحكمة من خلق السماء وما فيها من الزينة، والأرض وما فيها من الرواسي، والنبات، والأزواج، ثم قال بعد ذلك: (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)[(٥)] وهذا هو أسلوب القرآن الكريم ، فغالبًا ما يقرن الخلق المشاهد بإلهامات البصيرة المستقبلة لإرسالات الغيب التي تشير إليها المشاهدات الخلقية في الأنفس والثمرات ، فيتكون بذلك الامتثال والإذعان.

كذلك الأمر بالنسبة للتأمل في الأنفس، ويتحقق بالدلائل المأخوذة من كيفية تكوُّن الأَجِنَّة في ظلمات الأرحام، وحدوث الأعضاء العجيبة، والتركيبات الغريبة، وأمر الله في كتابه الكريم في آيات كثيرة بالنظر في هذا التكوين العجيب الذي خلق عليه الإنسان، مقرونًا ببيان الحكمة من ذلك تارة كما في

---

(١) سورة فصلت: آية ٥٣

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير،(الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ) ، جـ٧، صـ٢٦٣ بتصرف

(٣) سورة لقمان: آية١١ .

(٤) سورة ق: الآيتان ٦– ٨

(٥) سورة ق : آية٨ .

قوله – تعالى : (مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) [١]، وتارة الآية مجرَّدة عن ذكر الحكمة كما سبق ببيان العلة في ذلك؛ كقوله – تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) [٢].

فميدانا الشهادة والغيب يتلازم ذكرهما في آيات كثيرة مفصَّلة في ظواهر الكون، ومخلوقاته، وطاقاته، وقوانينه، والقرآن يرينا تكاملَ الميدانين؛ حيث إن الكون مسخر للإنسان، نافيًا بذلك نظرية الصراع بين الإنسان والكون، وهذا ينشأ المواءَمة بين العلم والدين، والكون والتوحيد، فالإنسان كَوْنٌ مصغَّر، وما فيه من آيات يدلُّ على قدرة العزيز الحميد؛ حيث خلق هذا الكائن ليسير في الأرض ويُسْتَخْلَف فيها، من هنا نلمس الترابط في المنهج المعرفي؛ حيث معرفة الميدانين تُحْدِث تكاملاً للمعرفة، ونجد من الإفصاحات الغيبية المتصلة بعالم الشهادة ما يجعل الإنسان متكاملا في ذاته وشعوره ، وذلك كتسبيح الرعد بحمده والملائكة في مثل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)[٣] ومعناه أن (الله وحده هو الذي يريكم البرق أيها الناس؛ إذ خلق فيكم أداة الرؤية وهي البصر، وخلق لكم هذه الظاهرة الكونية تتلامع في السحاب على مستوى من الإضاءة يمكن أن تَرَوْه بأبصاركم، وجعل هذه الظاهرة الكاشفة للظلمات والخاطفة للأبصار مقارنة في الغالب لهطول أمطار قد تكون غيثًا مريعًا، وقد تكون مطر سَوْء، ومقارنة أحيانًا لنزول صواعق محرقة أو صواعق مفجّرة لبعض الينابيع في الأرض بقوة هبوطها... وفي هذا التردُّد بين انفعالين متضادَّين؛ انفعال النفوس بالخوف والحذر، وتنفعل بالطمع والاستشراف – تكون ظاهرة كونية أخرى هي إنشاء السحاب... وبعرض هذه الظواهر، والإشارة إلى ما وراءها، استكملت الصورة الفنية بنيانها، وترتيبها الرائع من جهة التتابُع) [٤] .

وكون الإنسان يسعى إلى الخلافة واستعمار الأرض بحثًا عن السعادة والرفاهية يقتضي منه إدراك سبل تسخير الآفاق والنظر والتأمل في الظواهر الكونية ، وإدراك سبل فهم النفس الإنسانية وحاجياتها، وكلَّما توسَّع الإنسان في فهم الكون زاد تسخيرُه له من بلوغ درجة زائدة من المواءمة، وفهمًا أعمق لدور الإنسان في عالم الشهادة، ولغايته من عالم الغيب، فتطوُّر الإنسان مبنيٌّ على قدرته وكفاءته في التعامل مع الكون والأنفس من خلال معرفة مواطن الصلاح، ومواقع الفساد، وكل ذلك سعيًا نحو الخير العام للإنسان كيما يرقى في المعرفة، فيعلو في درجات الاستفادة مما توفر له من طاقات، في

---

[١] نوح: ١٣– ١٤ .

[٢] الشمس: آية ٧ .

[٣] سورة الرعد: ١٢– ١٣

[٤] عبدالرحمن، سورة الرعد دراسة أدبية ولغوية وفكرية"؛ ، (مكتبات عكاظ، الرياض، ط . ثانية،سنة ١٩٨٣هـ)، صـ ١١٠ وما بعدها بتصرف واختصار .

الآفاق والأنفس، فالنفس تحتاج إلى الآفاق، واستغلال الآفاق مبنيٌّ على مدى حاجات الإنسان، وتطور سلوكه، وإدراكه لحاجات الأنفس ومصالحها المفيد لها.

٥ . هناك تلازم بين الإيمان بالغيب وبين تحقيق الخلافة في الأرض : فعندما نطالع قول الله تعالى في القرآن:(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [١] ندرك أن هذه الخلافة عند الإنسان كحقيقة وجود، وارتباطها بعلم الأسماء– قد أدَّى إلى رفع النزاع بين الإيمان بالغيبيات والعلوم الدينية الإنسانية ، من زاوية أن تحقيق هدف الخلافة لا يتحقَّق إلا بعلوم الغيب وعلوم الدين .

جاء في الدر المنثور : (علمه اسم كل شيء حتى البعير والبقرة والشاة ، علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ثم قال ما لم تعلم الملائكة فسمى كل شيء باسمه وألجأ كل شيء إلى جنسه ، ثم عرضهم على الملائكة يعني عرض أسماء جميع الأشياء التي علمها آدم من أصناف الخلق ، فقال أنبئوني يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفة قالوا سبحانك تنزيها لله من أن يكون يعلم الغيب أحد غيره تبنا إليك لا علم لنا تبريا منهم من علم الغيب إلا ما علمتنا كما علمت آدم)[٢].

ويفهم من ذلك ضرورة عدم الفصل بين المتلازمين (الخلافة والغيب) لأن تحقيق (التلازُم بين حقيقة الخلافة لتحقيق العبودية، والعلم لتحقيق السيادة؛ يعني أن الدين والعلم مقوِّمان ضروريان لتحقيق هدف الإنسان الوجودي؛ مما يمنع أيَّ تعارض بينهما) [٣] ، ومن ثم نعتقد أن قيام المجتمع الإسلامي متلازم مع الإيمان بالغيب كضرورة إنسانية، وحتمية فطرية ، هذا التلازم هو الذي يعصم البشرية من تدمير الإنسان لخصائصه الإنسانية، ومن تدمير الحياة الإنسانية التى لا تقوم بغير إنسان محتفظ بخصائصه الإنسانية تحت إشراف الفيض الغيبي السحاح على العقول القاحلة لتبدي ثمارها كل حين بإذن ربها وتظل دائما في حالة نماء وارتقاء ، فالحياة الإنسانية مهددة بتدمير الإنسان العقل المنسلخ عن هذا الفيض الغيبي في ظل تشويه معالم الخلافة ، وبعيدا عن امتداد الخط الذي تسير فيه الحياة الإنسانية مما يؤكد أن ربط الخلافة بالغيب ضرورة إنسانية، وحتمية فطرية ٠

---

[١] سورة البقرة : ٣١-٣٣ .

[٢] عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور ، (الناشر : دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣) ج ١ ، صـ ١٢١ بتصرف .

[٣] فاروق الدسوقي ، الإسلام والعلم التجريبي"؛ ،(المكتب الإسلامي، بيروت، ط. أولى ، سنة ١٩٨٧م) ، صـ ١٦١– ١٦٢ بتصرف .

٦ . الإيمان بالغيب تمييز بين إنسان مؤمن وحيوان ناطق :

لقد جاء دور " الإسلام " في الإفصاح عن الغاية من الخلق والإيجاد واضحا جليا في صناعة المؤمن العاقل على التكوين الإلهي الذي يربط روحه بجسده ودنياه بآخرته ومشاهدته بغيبه، وخلصه من أشد الساعات التي يلاقى فيها تخبطا وحرجًا وحيرة واضطرابًا، نعم.. جاء دور الإسلام الذي يتنكَّر للطمس المادي المغيب لمعالم الغيب من قصة الوجود، المعطل لوظيفة الإنسان الأولى منذ أن عهد الله إليه بالخلافة في الأرض، تحقيقًا لغاية الوجود الإنساني، فالإنسان الحقيق بالإنسانية هو الذي يدرك ما وراء وجوده، ولماذا يعيش، وقد ميز الله هذه الجماعة من الناس بقوله:

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)[(١)]، أي : (يصدقون بأخبار الله تعالى عن الجنة والنار والقيامة والحساب وأشباه ذلك والمؤمن المصدق ، والغيب ما غاب عن الحاسة مما يعلم بالأدلة)[(٢)] (هذا عام وبالآخرة هم يوقنون وإن كان الإيمان بالغيب يشملها . أي عناصر الغيب والآخرة . ولكن خصها لإنكار المشركين لها في قولهم " مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا" [(٣)])[(٤)].

وهذا نعت الحضارة المادية التي لا تلائم الإنسان المطلوب ، ولا تحترم خصائصه وإنسانيته عندما تعامله بالمقاييس الآلية التي تختص بالآلة الجامدة التي لا حس لها ولا شعور ، والمقاييس الحيوانية، التي تعبر عنها حياة الغابة والأدغال ، لذا نعتهم الله تعالى بقوله : (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)[(٥)] نعم الغافلون لأنهم كما قال الله (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[(٦)].

---

(١) سورة البقرة: الآيات: ١ .٣.

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، تحقيق : د.فتحي أنور الدابولي (دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢) ج١ ، ص٥٤ .

(٣) سورة الجاثية : الآية ٢٤

(٤) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (ط.دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١ هـ) ج٢ ، ص ٤٧٠ .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٧٩ .

(٦) سورة الروم : آية ٧ .

فالغفلة عن الغيب والتصديق به جعلتهم في هذا المستوى من الخلق ، فعاشوا حياة الأنعام (أولئك كالأنعام بل هم أضل فتقريره أن الإنسان وسائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة ، ومتشاركة أيضا في منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة ، وفي أحوال التخيل والتفكر والتذكر ، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وسائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق فلما أعرض الكفار عن أحوال العقل والفكر ومعرفة الحق كانوا كالأنعام بل هم أضل لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل .)[١].

وأعظم حجة على هؤلاء أن جعل الله لهم أعينا وآذانا وقلوبا ، لكنهم حجبوها عن رؤية ما يسوق إلى اليقين في الغيب ، وقد نص الله في الآية السابقة (على أنهم لم يروا بعيونهم ما يتعظون به ولا سمعوا بآذانهم ما يقبلونه من الهدى فلما كانت العيون والآذان لا ينتفع بها استحق أصحابها الذم والنكال)[٢].

ولما سارت توجهاتهم في طريق تطبيق المنهج الآلي الحيواني على الحياة الإنسانية، بدون مراعاة للخصائص الإنسانية الأصلية وما تحمله من معاني الخلافة، التي تفرق بين الإنسان والحيوان، ظهرت طلائع مفزعة، تنذر بما وراءها من دمار وخراب يجتاز حدود الإنسانية، وينقلها إلى حياة وعول الغابة المتناطحة على أنثى.

وقد قال تعالى فيهم أيضا : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ)[٣] فكانوا كـ (من طمح بصره إلى كل ما يرى من المتاع بها فهو في منزلة البهيمة التي تأكل فتمتلىء فتديره في فمها ثم تعاود الأكل لا تعرف غير هذه الحال)[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.د.ت) جـ٢ ، صـ٦٨

(٢) ن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ا مكتبة الخانجي – القاهرة.د.ت) جـ٢ . صـ١١٠ .

(٣) سورة محمد : آية ١٢ .

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.د.ت) جـ٢ ، صـ٦٨ .

المبحث الثالث

أيها المنكرون للغيب ..

" مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً" [1] ؟!

وفيه :

من أسباب إنكار الغيب :

أولا : تقديس العلم المجرد لذاته وإنكار دلالته على الله .

ثانيا : العناد والجحود مع العلم بالحقائق .

ثالثا : الاعتبار للتفسير المادي للأشياء دون غيره .

رابعا : التقليد مع العماية والحجب عن رؤية الحقائق .

خامسا : إسقاط قانون العلة والسببية وإغلاقهم على منافذ الإدراك .

---

[1] سورة نوح : آية ١٣ .

المبحث الثالث

أيها المنكرون للغيب ..

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾[1] ؟!

إذا اقتصر الفكر على العقل والشهادة واستقل بهما عن الوحي والغيب ، حدث فصام نكد يتردى بصاحبه في هاوية لا قعر لها ، فيها ارتطامات كثيرة ، وتتشعب طرائقه وتسير نحو إهدار آدمية وخصائص الإنسانية العامة والذاتية ، وحينها لا يتجاوز مفهوم الإنسان ترسا فى آلة، أو بهيمة فى قطيع .

وقد أدهشني اسم كتاب ألفه كتاب غربي مشهور وهو الدكتور " ألكسيس كاريل "[2] سماه " الإنسان ذلك المجهول " قال فيه : (ولقد اعتبرت الإنسان ملخصاً للملاحظات والتجارب... ولقد ألقت بى الظروف في طريق الفلاسفة والفنانين، والشعراء والعلماء، والعباقرة والقديسين٠٠ كما درست فى الوقت نفسه التركيب الميكانيكي الغائر في أعماق الأنسجة وتلافيف المخ، الذي هو في الحقيقة الأساس العميق للظواهر العضوية والعقلية... ويعكف الكيماويون، والكيماويون الطبيعيون، على تحليل المواد الأكثر تعقيداً، التي توجد بداخل الجسم، كهيموجلوبين الدم، وبروتينات الأنسجة، وأخلاط الجسم، والتخمرات التي تسبب ذلك الانقسام المستمر، وإيجاد ذلك المجموع الكلى الهائل من الذرات .... وهناك كيماويون آخرون لم يقصروا اهتمامهم فى تركيب الجزئيات وحدها، وإنما انصرفوا إلى التفكير في علاقات تلك التركيبات إحداها بالأخرى، عندما تدخل عصارات الجسم٠٠)[3] ، واستطرد " كاريل " في وصف دراساته وأبحاثه ، وكلامه عن الكيميائيين وعلماء الطب والدراسات الخاصة بجسم الإنسان ، وفي النهاية نلمح أن اسم كتابه " الإنسان ذلك المجهول " سبحان الله ، بعد هذه البحوث والدراسات والخبرات لا زال يجهل الإنسان ومن وراء الإنسان ولم يعد من وراء تجاربه بقوله كما يقول المؤمنون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [4].

---

[1] سورة نوح: آية ١٣.

[2] ولد الدكتور كاريل بالقرب من ليون فى فرنسا، وحصل على إجازة الطب بها، كما حصل على إجازة العلوم من ديجون، وبعد أن مارس التدريس فى جامعة ليون عدة أعوام رحل إلى الولايات المتحدة، واشتغل فى معهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيويورك، وبقى به قرابة ثلاثين عاماً حتى اعتزل العمل به سنة ١٩٣٩ ، ثم عهدت إليه وزارة الصحة الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب، وكانت هذه المهمة تكملة لمهمة اضطلع بها إبان الحرب العالمية الأولى، عندما كان يعمل جراحاً مع القوات الفرنسية والبريطانية والأمريكية٠٠ ومنح جائزة نوبل عام ١٩١٢ لأبحاثه الطبية الفذ ، راجع ترجمته في مقدمة كتابه (الإنسان ذلك المجهول) ، تعريب شفيق أسعد فريد، (منشورات مكتبة المعارف بيروت ، د. ت) صـ ٢ .

[3] ألكسيس كاريل (الدكتور)، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد فريد، صـ ٥-٦ بتصرف واختصار.

[4] سورة آل عمران: آية ١٩١.

نعم .. صدق الله إذ يقول﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1] وقال ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [2] إنهم (صم بكم عمي والبكم جمع أبكم وهو الذي لا ينطق والبكم نوعان بكم القلب وبكم اللسان كما أن النطق نطقان نطق القلب ونطق اللسان وأشدهما بكم القلب كما أن عماه وصممه أشد من عمى العين وصمم الأذن فوصفهم سبحانه بأنهم لا يفقهون الحق ولا تنطق به ألسنتهم والعلم يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب من سمعه وبصره وقلبه وقد عليهم سدت هذه الأبواب الثلاثة فسد السمع بالصمم والبصر بالعمى والقلب بالبكم ونظيره قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها)[3] فحجبت آلات التكوين الإيماني والإدراكي ، وإن كانت موجودة فهي شكل بلا مضمون وهيئة بلا كيف (وقد جمع سبحانه بين الثلاثة في قوله " وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله " فإذا أراد سبحانه هداية عبد فتح قلبه وسمعه وبصره وإذا أراد ضلالة أصمه وأعماه وأبكمه وبالله التوفيق فصل وأما الغشاوة فهو غطاء العين كما قال تعالى وجعل على بصره غشاوة وهذا الغطاء سري اليها من غطاء القلب فإن ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه)[4].

ولما تحولت آلات النظر في هؤلاء إلى صور صارت محدودة التأثير على القلب أو أصبح تأثيرها لا يتجاوزها، وديننا يرفض أن يستمتع الإنسان بخيرات الأرض ونتتاج الحضارة كما يستمتع الحيوان ، يرفض أن يكون المتا ع فى ذاته غاية غايات الإنسان. فالإنسان أكرم من هذا وأرفع، وغاية وجوده الإنساني أكبر من هذا وأضخم ، وهو لا يكون إنساناً إلا بعد أن يدرك غاية وجوده ، وخلق الله آلات التأمل لتكون على اتصال بالقلب لينقل صورة الغيب من خلال المشاهدة ويعكسها في العقل كنتائج يقينية مستنبطة ، (لأن تأثره بما يراه ويسمعه : أعظم من تأثره بما يلمسه ويذوقه ويشمه وطرق العلم

---

(1) سورة الأحقاف آية ٢٦ .

(2) سورة الحج آية ٣٦

(3) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨) جـ ١ ، ص ٩٦ .

(4) نفس المصدر والصفحة

ثلاثة وهي : السمع والبصر والعقل ، وتعلق القلب بالسمع وارتباطه به : أشد من تعلقه بالبصر وارتباطه به ولهذا يتأثر بما يسمعه من الملذوذات أعظم مما يتأثر بما يراه من المستحسنات وكذلك في المكروهات سماعا ورؤية ولهذا كان الصحيح من القولين : أن حاسة السمع أفضل من حاسة البصر لشدة تعلقها بالقلب وعظم حاجته إليها وتوقف كماله عليها ووصول العلوم إليه بها) (١) .

وعليه فتعطل آلة السمع عن مشاركتها لآلة البصر في هؤلاء ، أدى إلى إحباط عمل هذه الأدوات جميعا وأصابها بالبطالة ، (لذا كثيرا ما نسمع في القرآن أمثال قوله سبحانه " فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ " [٢]" أَفَلَا تَذَكَّرُونَ "[٣] " أَنَّى يُؤْفَكُونَ " [٤]" أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "[٥] " قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ " [٦]، " لاَ يَعْقِلُونَ "[٧] " وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ "[٨] إلى غير ذلك مما يرفع كرامة الإنسان ، ويحاكم أهم الأمور حتى العقيدة في الله تعالى إلى العقول ليصل المرء من وراء ذلك إلى اقتناع الضمير واطمئنان القلب وبرد اليقين وحرارة الإيمان بعد أن يهذبها بالدليل ويصقلها بالبرهان) . [٩]

وقد غاب عن المنكرين للغيب خط واضح يصل بين الشهادة والغيب ، ولكنهم أبدوا إنكارهم وذلك لأسباب كثيرة ، منها :

أولا : **تقديس العلم المجرد لذاته وإنكار دلالته على الله** :

آمن علماء التجارب والمعامل الغربيين . على سبيل المثال . بما يخضع للاستقصاء والبحث التجريبي ، ولم يعتبروا للغيبيات ، واتخذوا العلم العقيم إلها من دون الله ، فمنذ داروِن [١٠]، وأقرانه من التجريبيين

---

[١] المصدر السابق ، نفس الصفحة .

[٢] سورة الأعراف : آية ١٠٠ .

[٣] سورة الجاثية : آية : ٢٣ .

[٤] سورة المنافقون : آية ٤ .

[٥] سورة الغاشية : ١٧-٢٠ .

[٦] سورة يونس : آية ١٠١ .

[٧] سورة البقرة : ١٧١ .

[٨] سورة الأعراق : ١٩٨ .

[٩] محمد عبدالعظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات (ط. دار الفكر – بيروت. الطبعة الأولى ، ١٩٩٦) ج٢ ، ص ٢٦٢ .

[١٠] تشارليس داروين ، نشأ في الريف ، كان واسع الاطلاع ، اشترك مع أخيه في كثير من التجارب الكيميائية ، حتى أن زملاءه أطلقوا عليه اسم " غاز " " Mr Gas " ، وكان شديد الشغف بشكسبير وبيرون والروايات الأدبية ، والتحق بجامعة أدنبره ، وكان لأساتذته تأثير سلبي عليه ، لدرجة أنه كره أساتذته ، وعندما رأى والده

الغربيين ، بدأ العلم يتجه نحو التجربة العملية ويستخلص النتائج من التجارب التي تقع في محيط الحواس ، فآمن الغربيون بكل ما تصل إليه حواسهم ، وأسقطوا كل ما لا تستطيع أن تصل إليه ، وأغبقوا منافذ المعرفة جميعا إلا هذا المنفذ الواحد دون سواه ، أما ما لا يخضع للتجربة . من الغيبيات . فهو خرافة أو على الأقل ساقط من الحساب ولما كانت قضية الألوهية أولى القضايا الغيبية التي لا تدخل المعمل ، ولا تخضع للتجريب العلمي فقد استغنوا عن القضية كلها ، وأعلنوا أن الله غير موجود.

لم ينظر هؤلاء إلى هذا الكون الذي أخضعوه للتجربة وأنكروا سببية وجوده ، وآمنوا بما يعجب أهواءهم من الغيب فآمنوا بالعقل ولم يروه ، وآمنوا بالجاذبية الأرضية ولم يروها ، ولم ينظروا (إلى الأرض وهى ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الأنهار تجرى على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حى فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات)[(١)]، مع أنها تسقى بماء واحد وتنبت في تربة واحدة ، وهكذا تمرد في قلوب هؤلاء عنصر العماية فغض طرفهم عن حقيقة وجودهم وجردهم من مطالب فطرتهم .

ثانيا : العناد والجحود مع العلم بالحقائق :

تاريخ الجحود قديم وليس بمستحدث ، وقد واسى الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قبل على تعامل أهل الكفر معه بمثله فقال : (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)[(٢)] ولكن هناك مصير ينتهي بهؤلاء ، قال تعالى : (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا

كرهه للطب ، وأن هواياته تنحصر في التاريخ الطبيعي ،والصيد في الغابات ، اختار له جامعة كمبردج في أكتوبر سنة ١٨٢٧ م ، ومع ذلك قضى بالجامعة ثلاث سنوات كانت ضياعا وراحت بلا فائدة ، فاطلق لدراسة الأحياء فاختار بعض الخنافس النادرة بدون دافع علمي ، وتلقى في علم النبات على يد هنسلو =وتعلق به لدرجة أنه كان يطلق عليه اسم المعلم القديم ، ولما مات هتسلو سنة ١٨٦١ م ، والتحق داروين بالبعثة العلمية الاستكشافية التي أفادته كثيرا ، وبعد أن عاد ظل يدون ما اطلع عليه من نشأة الأنواع الحية واكتملت نظريته في عقله ، وصاغ نظرية نشأة الأنواع سنة ١٨٤٤م ، وكثرت مؤلفاته في ميادين متعددة ، ومنها كتاب الجزر البركانية ، والحيوانات النباتية ، وغيرها ، توفي في ١٩ أبريل سنة ١٨٨٢ م ، ودفن بكنيسة وستمنستر ، راجع كتاب نشأة الإنسان والالتقاء الجنسي لداروين ، ترجمة وتقديم مجدي المليجي ، (ط. المجلس الأعلى للثقافة ، سنة ٢٠٠٥م) ج١ ، صـ٦٢ وما بعدها باختصار .

(١) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، (ط. دار المعرفة – بيروت ، د.ت) ج ٤ ، صـ ٤٤٠ .

(٢) سورة الأنعام: آية ٣٣ .

دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)[١].

إن المنكرين للغيب لا يريدون أن يسمعوا حجة ولو حسيسا ، فأنكروا ربوبية الله وسلطانه على الكون وسير الأفلاك والعوالم في طي قدرته ، يقول ملحد :

(أليس عجيبا ذلك الرب الذي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة فيأخذ بناصية الدابة ، ويوحي إلى النحل فتتخذ بيوتا ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، وما تخرج من ثمرات إلا أحصاها عددا من أكمامها ، وما تحمل منثى ولا تضع إلا بعلمه ،إذا سقطت ذبابة في طعام فهو الذي أسقطها ، وإذا امتنع المطر فهو الذي منعه ، ألا تشغلون إلهكم بالكثير التافه من هذه الأمور بهذا الفهم)[٢].

ليس غريبا أن يقول ملحد مثل هذه الترهات فالملاحدة ينكرون الغيب ، ويُؤمنون بأن الكون نشأ صُدفة وأنه لا يُوجد صانع ..(ولا أفهم أيكون الرب في نظر هذا الملحد أجدر بالربوبية لو أعفي من هذه المسئوليات وأخذ إجازة ، وأدار ظهره للكون الذي خلقه يأكل بعضه بعضا ، ثم إن الزبابة التي تبدو تافهة في نظر هذا الملحد ، فلا يهم أن تسقط في نظره في طعام أو لا تسقط ، هذه الذبابة يمكن أن تغير التاريخ بسقوطها التافه هذا وتنقل إلى جيش بأكمله مرض الكوليرا فتكسب معركة للطرف الآخر تتغير بها موازين التاريخ كله)[٣] .

ولكن فصل الله تعالى بين تذكيرهم وجحودهم بقوله : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[٤] وقال : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ).

وإن تولد مثل هذا الجحود لدى الملحد ليس إلا بسبب إغراقه في الإنكار وإغراقه في التصديق باعلم التجريبي دون ما يرمي إليه ، وما تلك إلا جاهلية أشد خطرا من الجاهلية الأولى جاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية ، والطغيان على حدود الله ، مع أن الله عرض على علمهم دلالات وآيات في الوجود وفي أنفسهم تدلل عى حقيقة ما وراء الطبيعة وفى هذا القدر كفاية لتقرير نظرية الإسلام فى شأن الغيب وتسليطه على عالم المشاهدة ، وتسخيره له، واتيانه القدرة على معرفة النواميس الكونية اللازمة له بدلائل لا يبقى وراءها من الخطو

---

(١) سورة فصلت : آية ٢٨ .

(٢) مصطفى محمود (الدكتور) ، حوار مع صديقي الملحد ، (ط.دار العودة ، سنة ١٩٨٦م) صـ ١١، ١٢ .

(٣) سورة النمل: آية ١٤ .

(٤) سورة السجدة: آية ٢٢ .

إلا عرض الغيب على ملامحهم وحواسهم المطموسة ، وفى الوقت ذاته أعطى الإنسانية من العجز ما يؤهلها لتقرير عجزها عن معرفة غيب ذواتهم القابع بين أحشائهم وبين صدورهم ، لذا شاء الله بوضع المنهج الملائم لكيانه وفطرته ووظيفته فى الأرض ، وتنبيهه إلى دلائل الغيب .

ثالثا : الاعتبار للتفسير المادي للأشياء دون غيره :

يغتر العقل الأوربي وأنساقه من العقول المنكرة للغيب بفتوحات العلم في عالم المادة، وبمهارته في الإبداع المادي ، وظن صاحبه أنه أتى بالخوراق في هذه المجال– فاندفع في هاوية الغرور وراح ليطبق محاولاته في عالم المادة على عالم الحياة، وبخاصة حياة الإنسان، واستقل بمادته فصارت شهوته وغايته ومنتهى سؤله وأنكر الغيب ،

إن هذا العقل الجائر على الغيب يريد أن يضع عالم الغيب في قالب حسي مشاهد ، فنبتت البيئة الأوربية في جو من هذا الفكر ، واتخذت لها في الشرق مسخا تردد مقالها ترديد الببغاوات ، (والبيئة الفاسدة خطر على الفطرة فهي تمسخها وتشرد بها ، وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيغ الفج ، وقد اقترنت حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم بنزوع حاد إلى المماراة في وجود الله) [1] .

حتى حكى القرآن ذلك في قوله تعالى (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) [2] (أي نحيا ونموت من غير رجوع وقيل نموت ويحيا أولادنا ، وما يهلكنا إلا الدهر قال ذلك زنادقة قريش الذين كانوا ينكرون الصانع الحكيم وإن الزمان ومضي الأوقات هو الذي يحدث هذه الحوادث) [3].

ولم يستطع أساطين الإلحاد الذين ورثوه عن أجدادهم أن ينتزعوا صورة الحياة البهيمية الداعرة التي كانوا يزاولونها في تصورهم وتفسيرهم المادي للحياة ، فتكبدت الميول الفطرية والطاقات الطبيعية، خسائر فادحة تعطل الصلة بالقوى الغيبة العميقة الجذور في الكينونة البشرية ، نتيجة صراع أليم فى داخل الكيان البشرى، وإلى دمار رهيب فى الحياة الاجتماعية والعمرانية ، لأنها غاية مادية يغضون الطرف عن سواها ، إنهم فسروا الدين المميز بطابع الغيب (على أنه علاقة مبهمة بقوى الغيب تجعل لصاحبها مسلكا لا يضبطه المنطق ، ولا يتحكم فيه عقل ، إنه انفعال نفسي يصبغ الوجدان

---

(1) محمد الغزالي (الشيخ) الشهادتان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط . ثانية ، سنة ١٤١١هـ ، ١٩٩١م) صـ ١٤ .

(2) سورة الجاثية : آية ٢٤ .

(3) أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، أحكام القرآن ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٠٥) جـ٥ ، صـ ٢٦٦ .

بمشاعر الولاء لمجهول)[١].

إنه مجهول لأنه لم يتجسد في هيئة مادية يرونها جهرة، ويأبون بذلك إلا التدني والتسفل الذي يخلد بهم إلى الطين .

رابعا :التقليد مع العماية والحجب عن رؤية الحقائق :

وهو تقليد سلبي أو أعمى، لا يراعى التركيبة العقلية والعقائدية للمجتمع، وذلك ينقله كليات التجارب وجزيئاتها نقلاً حرفياً بلا فرز أو انتقاء، فهذا الأسلوب يحمل بين جنباته مخاطر طمس الهوية، وذوبان الكيانات الضعيفة داخل الكيانات القوية، وأظن أن عدداً ليس بالقليل من الكيانات الضعيفة قد انزلق إلى هذا المنحدر الخطير، إعجاباً وانبهاراً بالأقوياء، أو تكاسلاً في طلب العلم، وبذل العناية في مجالات البحث والاستنباط والاستدلال، وهؤلاء كمن تناول طعاماً جاهزاً في المطعم المجاور لأنه لا يملك الهمة والإرادة للطهي بين جدران بيته!!!.

إنه التقليد بلا فهم أو تريث، هو دوران في فلك الاستقصاء والبحث بلا إرادة ولا وعى، وهو تحرك على مسرح الحياة وفقاً لإرادة الآخر، وهو طمس للهوية، ومحو للشخصية، وهذا التقليد يضيق مساحات البحث عن الحقيقة بكافة مستوياته وأشكاله ، ما أدى إلى تواجد حالة من اليأس والإحباط، ومن ثم تواجد حالة من عدم الرضا عن العقيدة والغيب والقدر والقضاء والآخرة و......إلخ ، على المستوى الفردي والجماعي، لأن الإيمان بالغيب أكبر مجلبة للرضا عن النفس، وهو الأمر الضائع لدى من قلد وفقط ، ولا زالت قصة الغراب الذي قلد الطاووس يوماً ماثلة في ذهني ، فلا هو ترك نفسه غراباً كبقية الغربان ورضي بصورته وهيئته، ولا هو تعلم من الطاووس شيئاً، ولا هو استطاع أن يكون طاووساً، ولا أدرى إن كان هذا الغراب قد انتحر بعد ذلك أم لا؟!!!.

و(هذه الغريزة . التقليد والمحاكاة . في الإنسان قد نأى بها القرآن عن احتذاء الأمثلة السيئة من الجهلة والفسقة وذهب بها إلى مقام أمين من وجوب اتباع الأمثلة الطيبة والتأسي بمن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[٢] (﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[٣] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ

---

(١) الغزالي، محمد (الشيخ)، ظلام من الغرب ، (ط. نهضة مصر ، ط. رابعة ، سنة ٢٠٠٥م) ص ٤١ .

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢١.

(٣) سورة آل عمران : آية ٣١

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[1]، وهكذا دخل القرآن على الناس من هذا الباب فقادهم من غرائزهم حتى ناط أوامره بمصالحهم ونواهيه بمفاسدهم وجعل ذلك قاعدة عامة)[2]، والخطر يكمن في التحول من توجيه غريزة التقليد إلى الانحراف والمشي وراء السفهاء ، وهو الذي نراه في تقليد الأبناء للآباء في العقيدة ، في مثل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[3] وقال: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [4] ، وهو الذي نراه في تقليد صاحب الثقافة المستوردة لأساطين الإلحاد ، فظل يردد مقولهم كالببغاء ، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾ [5] .

هذه الخطوة الأولى من خطوات المشروع الإسلامي المذكور نكتشفها في النصوص التي توجهت إلى نبذ القيود التي تقيّد العقل وتحد من نشاطه الحقيقي، وتقوده إلى أخطاء خطيرة بسبب ذلك.. ونجد في القرآن نبذا للتقليد الأعمى، وأمثلته كثيرة جداً، نقرؤها في سور متعددة ومشاهد متعدّدة: فبينما كان يؤكد افتقارهم إلى أدنى حجّة ذات قيمة في ما يعتقدون من العقائد الزائفة ، ركّز على أنَّ كلّ ما يمتلكونه من حجّة هو أنّهم وجدوا آباءهم على ذلك ، فتمسّكوا به.. ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[6].

ثم يؤكد أنّ هذا هو ديدن هذا الصنف من الناس الذي أغلق على ذهنه المنافذ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[7].

وهكذا يسوق مقولتهم هذه مرتين في آيتين متتابعتين ليجسّد ما تنطوي عليه هذه المقولة من تهافت، وما يغيب فيه هؤلاء من جهل متجذّر موروث، لا يصغي لدعوة حق ولا لبرهان ساطع بل ليس لديهم أكثر من ترديد مقولتهم تلك

---

(١) سورة الأنعام: آية ٩٠.

(٢) محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات (ط. دار الفكر – بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٩٦) ج٢، ص ٢٦٢.

(٣) سورة الزخرف: آية ٢٣ .

(٤) سورة الأحزاب: آية ٦٣.

(٥) سورة الزخرف: آية ٢٢ .

(٦) سورة الزخرف: آية ٢٢ .

(٧) سورة يونس: آية ٧٨ .٤٥٨.

:﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [1] ؟! حتى لو جاءهم متحدياً لما وجدوا عليه آباءهم مبيّناً فساده..﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾[2] ؟ حتى مع مثل هذه الاستثارة لا يبحثون عن برهان ، ولا يفتحون نافذة للنظرة ، بل وقفوا دائماً بتحجرّهم الأول ، و ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [3] ، و ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [4]!! ويكرّر القرآن النكير على هؤلاء في مواضع آخر ، لأنه إنما يواجه في مشروعه المعرفي نظريات استحكمت وترسخت لدى أُمم متتابعة ، لا يستبعد أن يكون لها امتداد في مستقبل الأمم أيضاً.. فلقد تجاوزت هذه النظرية حدود المعارف والمعتقدات إلى السلوك والمعاملات..﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [5] ، و﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [6]!!

خامسا : إسقاط قانون العلة والسببية وإغلاقهم على منافذ الإدراك:

إن عقولنا التي خلقها الله لنا (مفطورة على قانون العلية أو السببية ، كما نسميه نحن البشر بالنسبة للمخلوقات ، وهو الشيء الذي نسميه الحكمة بالنسبة إلى خلق الله وأوامره ونواهيه ، وقد يقول الملحدون المنكرون للصانع إن عقولنا اكتسبت هذا القانون بحكم العادة لأنها كانت ترى الظاهرة تحدث عقب ظاهرة فتربط بينها برباط السببية ، فتسمى الأولى علة أو سببا ، وتسمي الثانية معلولا أو مسببا)[7]، وبذلك لم يكر المنكرون شيئا من الغيب ، ولم يؤمنوا إلا بما يعاينوه من ظواهر طبيعية أنكروا صانعها ، وقد وجه إليهم القرآن تساؤلا ت وعرض عليهم آيات بطريقين:

الأول : أفحمهم بخلقهم وإيجادهم فقال:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)[8] ، (معناه أم خلقوا من غير خالق كأنه قال من غير شيء خلقهم لما تقرر من استحالة ثبوت ما ثبت بوصف الخلق من غير خالق خلق ولا صانع دبر وصنع).

---

(١) سورة يونس: آية ٧٨.

(٢) سورة الزخرف: آية ٢٤

(٣) سورة الزخرف: آية ٢٤.

(٤) سورة المائدة: آية ١٠٤ .

(٥) سورة الشعراء: آية ٧٤.

(٦) سورة الشعراء: آية

(٧) محمد الغزالي، ظلام من الغرب، ص٤٩ .

(٨) سورة الطور: ٣٥.

إن مشكلة الإلحاد مع الغيب مشكلة هيأ الإسلام لها حلولاً جاهزة ، إنها مشكلة نشأت بشكل خاص، وبحجم خاص، وفق ظروف بيئية لا تقبل إلا عالم الشهادة بتصور محدود في ذاته وقالبه ،وتنكر عالم الغيب لأنه غير محسوس لديهم ولم تجمح عقولهم إلى تصوره مع توافر الأدلة على الاستدلال عليه ، ومن العبث الجرى وراء افتراضات وتكهنات استدعتها ظروف التجارب المعملية المحسوسة ، وهي في الأصل غيبية لحين الوصول إلا دليل يصدقها ، والإنكار في ذات الوقت للغيب مع توفر الأدلة والحجج الجلية على وجوده بقوة تتجاوز قوة أدلة تجاربهم المعملية ، وبشكل لا تتحمل إدراكه العقول كتحمل إدراك نتائج التجارب ، إذن وراء نتائج التجارب مقدمات تفتقر إليها النتائج المتحولة من الغيب إلى الشهادة ، وعليه(فكل محدث . ظاهر في الشهادة . مفتقر إلى غيره في الغيب فلا توجد الحوادث إلا بفاعل قديم غير محدث فهذه طرق متعددة يثبت بها الموجود الواجب بنفسه القديم)[(١)].

الثاني : وجههم إلى التدبر في آيات الله تعالى في الكون ثم أفحمهم ووبخهم على إنكارهم :

إن العقيدة الإسلامية حرّرت العقل من القيود التي تأسره وتحجر عليه في عالم الشهادة وتجاهل الغيب ذلك الكنز المكنون ، إنها أطلقته إلى أمام وهي توجه طاقاته من خلال الالتفات والتدبر في الكون والحياة ، من أجل بناء متكامل ديناً ودنيا.. فكل شيء في المنظومة الكونية يدور في فلك ويسبح بانتظام ، ويمكننا أن نشير إلى مجموعات من آيات الذكر الحكيم توجه العقل إلى آفاق رحيبة متعددة ، منها : قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[(٢)]، وقال:﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[(٣)] ، وقال :﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)]، وقال :﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾[(٥)]، وقال :﴿

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) سورة المائدة : آية ١٩١ .

(٣) سورة الذاريات : ٢٠ـ٢١ .

(٤) سورة يونس : آية ١٠١

(٥) سورة الطارق : آية ٥ ٤٥٨

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ (١)، وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ (٢) .

وهذا يلفت النظر إلى عناية القرآن بذكر مشاهد الكون عناية كبيرة من خلال تكرار عرضها في أكثر من سورة، عرضاً متنوعاً يدعوا فيه المنكرين للغيب بالعود إلى الله ، مع تكرار دعوته الإنسان إلى النظر والتأمل فيها ، والتفكر في مجرى حوادثها ، والأهم من ذلك كلّه جعل هذا الكون منطلقاً للوصول إلى الله تعالى خالقه ومبدعه . فالويل لمن أنكر المقدِّر، وجحد المدبّر ، والويل إلى هؤلاء الذين زعموا أنّهم كالنّبات ما لهم زارعٌ ، ولا لاختلاف صُورهم صانع ، ولم يلجئوا إلى حُجّةٍ فيما ادّعوا ، ولا تحقيق لما أوعوا..

وهل يكونُ بناء من غير بان ، أو جناية من غير جان ! دعوة ذات منهج مرسوم من أجل الاستفادة من تجارب الحضارات السابقة ودراسة أسباب سقوطها ، لا سيّما وأنّ التاريخ يعيد نفسه قال تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ (٣) .ولابدَّ من التنويه على أنّ دور الدين ومسؤوليته في حياة الإنسان هو إيجاد جوّ من الملاءمة والانسجام بين سلوك وتفكير الإنسان ، وبين سنن الله تعالى في الحياة ، وتحويل مجرى حياة الإنسان إلى تيار هذه السنن الإلهية التي جعلها الله نظاماً لخلقه وتكوينه في هذا الكون.

فالدين يوجّه فكر الإنسان إلى النظرة العميقة والهادفة، وبطبيعة الحال هناك فرق كبير بين النَّظرة السطحية الساذجة للحياة والتاريخ ، وبين النظرة العميقة والمتفحصة التي لا تقتصر على ملاحظة الشيء أو الحدث وما وراء الحدث من السبب والعلة ، وإنّما تنفذ إلى أعماقه ، وترصد لوازمه ودلالاته ، فالعقيدة تثبت الغيب بالنظرة المتعمقة ، وليس بالهوجائية المتغطرسة .

وفي النهاية نستطيع أن نقول للمنكرين للغيب في صوت واحد وبعد كثرة الشواهد في عالم الشهادة لإثبات عالم الغيب أيها المنكرون للغيب ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (٤)، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٥) .

---

(١) سورة عبس : آية ٢٤ .

(٢) سورة الغاشية : ١٧ ـ ٢٠ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٨ .

(٤) سورة نوح : آية ١٣ .

(٥) سورة محمد : آية ٢٤ .



الخاتمـــــة

بعد هذا التطواف في ميدان الغيب والآفاق ، نصل إلى محصلة يقينية تبرهن عجز الفكر والثقافة عجزها أمام الكشف الإلهي للغيب ، فمهما بلغت من الثقافة والمعرفة ، فلن تتجاوز مستوى الكشف العلمي المحدود ، ليبقى القرآن وحده هو النبع الذي تستقي منه الإنسانية ما وراء الوراء من الغيب ، فيتكيفون به ويتربون على نظامه ، ويتخرجون عليه ويخرجون من الدنيا وهم على يقين به .

وصدر الإسلام شاهد على هذه الذروة والعروة التي قامت عليها الدولة الإسلامية، فقد ربطت بين الغيب والشهادة، وتاقت لما يختبئ في ضمير الغيب من نعيم ورضوان، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة، ولا ثقافة، ولا علم، ولا مؤلفات، ولا دراسات، نعم لا يوجد إلا القرآن كتاب إدارة الكون، وعليه قام الكشف العلمي، وهو ما يزال ينبوع الكشف العلمي الغربي حتى اليوم .

وقد تحقق إيمان الأوائل بهذه الدفقة الغيبية التي صبها القرآن في معينهم، إنهم لم يقرئوا القرآن بقصد الثقافة والاطلاع، ولا بقصد التشوق والمتاع. لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة ، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته . إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن مجتمعه الذي يعيش فيه ، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته ، يتلقى ذلك الأمر من مفاتح الغيب ليعمل به فور سماعه هذا الشعور ، شعور التلقي للتنفيذ ، كان يفتح لهم من القرآن آفاقًا من المتاع وآفاقًا من المعرفة ، لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع ، وكان ييسر لهم العمل ، ويتحول في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي ، وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف ، إنّما تتحول آثارا وأحداثا تحول خط سير الحياة .

إن هذا القرآن لا يمنح كنوز الغيب إلا لمن يُقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للتكوين العقيدي الصحيح على إشراقة الغيب .

وإن قصة الغيب في الوحي لم تجئ في هيئة متاع عقلي ،ولا لتكون رواية أدب وفن . ولا صحاف تمثل قصة وتاريخ ، لا ..إنما جاءت قصته لتنتظم منهاج حياة . منهاجا إلهيا خالصا بعقيدة وافية .

ومن خلا ل الاستقراء والعرض السابق تتكون لدينا محصلة نتائج وتوصيات نوردها في التالي

أولا : **أهم النتائج** :

١ . أن الغيب سر من أسرار الله لا يملك مفاتحه إلا الله ، وفيه بطلان لدعاية الدجالين والمخرفين علم الغيب .

٢ . أن الإيمان بالغيب هو الآلية الفاعلة المحركة لهمم المؤمن والمتحكم في إشراف أرواحهم على معالم الجنة ونعيمها المقيم .

٣ . أن الإيمان بالغيب هو سر إنسانية الإنسان ، وهو الفصل بينه وبين الكائنات والحيوانات والآلات والجمادات ، فالإيمان بالغيب يميزه عن هؤلاء جميعا ليرشح للخلافة في الأرض .

٤ . أن المنكرين للغيب آلاتهم معطلة وقلوبهم عاطلة ، فاستووا مع جملة الجمادات والأنعام لأنهم فقدوا الإيمان بالغيب وهو الفارق بينه وبين هؤلاء جميعا .

٥ . أن الله تعالى أفصح في عالم الشهادة عن دلالات تنتهي خيوطها عند بدايات الغيب ، ما لا يدع مجلا للإنكار والتأبي على الله تعالى .

ثانيا : **أهم التوصيات** :

يوصي الباحث بما يلي :

١ . ضرورة بيان قيمة االإيمان بالغيب والتأكيد على الدلائل والشواهد الكونية التي توجه العقل إلى التفكر والقلب إلى اليقين .

٢ . ضرورة إبراز صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والتي تستلهم القلب وتدهش العقل وتخاطب الغرب على قدر فهمه من منظور عقلي حسي .

٣ . دعوة الملحدين للحوار حول الغيب ودلالة عالم الشهادة عليه ، وذلك أثبت وأقوم في الحوار ، ثم بعد ذلك يتم عرض النص القرآني السابق للكشف العلمي .

هذه أهم النتائج والتوصيات ، أسأل الله تعالى أن يهدينا إلى توفيقه ورضاه ، وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أهم المراجع

١ _ القرآن الكريم .

٢ . أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر للعلامة ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (الناشر : المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

٣ . أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني ، كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م) .

٤ . أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي . كتاب العين . تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي (الناشر : دار ومكتبة الهلال ، د.ت) .

٥ _ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ص ٣٨٧ ج ٤، طبعة دار صادر، بيروت، طبعة أولى، بدون تاريخ.

٦ . أبو محمد عبدالله بن محمد السيد الأندلسي (العلامة) ، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة (الناشر : دار الفكر – دمشق . الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م) .

٧ _ أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: سليمان سليم البواب، (ط.دار الحكمة، بيروت، ثالثة ، ١٤٠٩هـ) .

٨ . الأثري، عبد الله بن عبد الحميد (الدكتور) ، الوجيز في الإيمان ، (حقيقته ، مسائله ، نواقضه ، عند أهل السنة والجماعة) ، (مكتبة المتنبي ، طبعة أولى ، سنة ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م)

٩ . أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله ، الرد على الزنادقة والجهمية ، ،تحقيق : محمد حسن راشد (الناشر : المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٩٣ هـ)

١٠ . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (الإمام) . درء تعارض العقل والنقل . تحقيق محمد رشاد سالم (الناشر : دار الكنوز الأدبية – الرياض ، ١٣٩١)

١١ . أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (العلامة) ، تاريخ بغداد ، (لناشر : دار الكتب العلمية – بيروت) .

١٢ . أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر (الشيخ) ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، أحكام القرآن ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٠٥) .
١٢ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (العلامة) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، (ط المكتبة العلمية _ بيروت . د.ت) .
١٣ . ألكسيس كاريل (الدكتور) (الإنسان ذلك المجهول) ، تعريب شفيق أسعد فريد، (منشورات مكتبة المعارف بيروت ، د. ت) .
١٤.تشارليس داروين ، نشأة الإنسان والالتقاء الجنسي ، ترجمة وتقديم مجدي المليجي ، (ط. المجلس الأعلى للثقافة ، سنة ٢٠٠٥م) .
١٦ . الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت . د.ت) .
١٧ . الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ) .
١٨ . حافظ بن أحمد حكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر (الناشر : دار ابن القيم – الدمام . الطبعة الأولى ، ١٤١٠ – ١٩٩٠)
١٩ . حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تحقيق : محمد عوامة (ط.دار القبلة للثقافة الإسلامية , مؤسسة علو – جدة . الطبعة الأولى ، ١٤١٣ – ١٩٩٢ .
٢٠ . حمدي عبد العال، منهج السلف في العقيدة، ص ٣١، دار القلم، الكويت، طبعة أولى، سنة ١٩٨٤م .
٢١ . الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات (ط. دار الفكر – بيروت . الطبعة الأولى ، ١٩٩٦) .
٢٢ . سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية، للإمام نجم الدين عمر النسفي، ص ١١، دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي .
٢٣ . السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (الإمام) ، الدر المنثور ، (الناشر : دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣) .
٢٤ . شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، تحقيق : د.فتحي أنور الدابولي (دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢) .

٢٥ . عبد الحميد محسن ، تجديد الفكر في الإسلام ، (ط.دار الصحوة، القاهرة، دت) .

٢٦ . عبدالرحمن حسن، سورة الرعد دراسة أدبية ولغوية وفكرية"؛ ، (مكتبات عكاظ، الرياض، ط . ثانية، سنة ١٩٨٣هـ) .

٢٧ . عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، (الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ) .

٢٨ . عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت . د.ت) .

٢٩ . علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ا مكتبة الخانجي – القاهرة . د.ت) .

٣٠ . علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥) .

٣١ . الغزالي، محمد (الشيخ) ، ظلام من الغرب، (ط. نهضة مصر ، ط. رابعة ، سنة ٢٠٠٥م).

٣٢ . الغزالي ، محمد (الشيخ) الشهادتان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط .رابعة) .

٣٣ . الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد ، إحياء علوم الدين، (ط. دار االمعرفة – بيروت، د.ت).

٣٤ . فاروق الدسوقي ، الإسلام والعلم التجريبي"؛ ،(المكتب الإسلامي، بيروت، ط. أولى ، سنة ١٩٨٧م) .

٣٥ . ماجد الكيلاني عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية ،(مكتبة هادي، مكة المكرمة. ط .ثانية، ١٤٠٩هـ) .

٣٦ . محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨) .

٣٧ . محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، (الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، د. ت) .

٣٨ . محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مختار الصحاح ،تحقيق : محمود خاطر (الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥) .

٣٩ . محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (ط.دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١ هـ) .

٤٠ . محمد عبد الرؤوف المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية (الناشر : دار الفكر المعاصر , دار الفكر – بيروت , دمشق . الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ)

٤١ . محمد عبدا لعظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات (ط. دار الفكر – بيروت . الطبعة الأولى ، ١٩٩٦) .

٤٢ . محمد عبده ، رسالة التوحيد (مطابع دار الكتاب العربي ١٩٦٦) .

٤٣ . محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، (دار صادر – بيروت . الطبعة الأولى . د.ت) .

٤٤ . مصطفى محمود (الدكتور) ، حوار مع صديقي الملحد ، (ط.دار العودة ، سنة ١٩٨٦م).

٤٥ . هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان (الناشر : دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٢ هـ) جـ ٣ ،صـ ٥٠٨ .



فهـــرس الموضوعـــات

المحتويات


والحمد لله رب العالمين